إحياء الشعائر الحسينية؛ قراءة تاريخية

غلام حسن محرّمي[1]

خلاصة البحث

كلّما بدت طلعة العام الهجري يتذكّر المسلمون ببالغ الأسى وعظيم التأثر مصارع آل الرسول وأهل بيته وما أمعنه الجيش الأُموي فيهم من القتل والتنكيل والتمثيل، فيستعدّ المسلمون في معظم أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية وخاصّةً في اليوم العاشر من محرم، وليس هذا التعبير عن شعور التأثّر والتألّم تجاه مصرع الإمام الحسين عليه السلام أمرًا مستحدثًا، بل يرقى تاريخُ هذه المشاعر الصادقة إلى عهدٍ قديمٍ فى الإسلام، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته الكرام أوّل من بكوا الحسين عليه السلام ثمّ الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ إذ أقاموا العزاء على جدّهم الشهيد سرًّا وعلانيّةً، وقد اتّسع نطاق إقامة المناحات ومجالس العزاء على الحسين عليه السلام في عهد آل بويه في العراق وإيران، وأخيرًا أخذ العزاء الحسينيّ دورًا متّسع النطاق في ظلّ عناية الدولة الصفويّة، ونال الموالون لآل البيت عليهم السلام كلّ حرّيّتهم في إظهار رغباتهم وشعائرهم لإحياء ذكرى شهيد الحقّ الإمام الحسين عليه السلام.

المفردات الرئيسة: العزاء الحسينيّ، الرثاء، النياحة، العهد البويهيّ، العهد الصفويّ، التاريخ، الشيعة.

---

١. قسم التأريخ، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، تبريز، إيران. البريد الإلكتروني: Moharami47@gmail.com.

مقدّمة

كانت شيعة آل بيت النبي (صلوات الله عليهم) وأحباؤهم يُقيمون العزاء والمأتم كلّ عام في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام منذ عصر الأئمّة عليهم السلام بتوجيهٍ وتشجيعٍ منهم، ثمّ مع اعتلاء البويهيين الحكم وتأسيس دولةٍ شيعيّةٍ، توسّعت هذه الثقافة، وانتشرت في الشوارع والأسواق علنًا، وأصبحت رمزًا وشعارًا للشيعة على مدى القرون، وأمّا في القرون الأخيرة، فمع تأسيس الدولة الصفويّة في إيران واهتمامهم بهذه المسألة، فهي توسّعت أكثر مما كانت عليه.

وأمّا تاريخ العزاء الحسينيّ، فينقسم إلى أربع مراحل هي:

١. أوّل نياحة على الإمام الحسين عليه السلام بعد دفنه.

٢. العزاء الحسيني منذ عصر الإمام الباقر عليه السلام فما بعد.

٣. العزاء العلني على الإمام الحسين عليه السلام منذ العهد البويهيّ (٣٥٢ ق) إلى العهد الصفويّ.

٤. التطوّر الشكليّ للعزاء الحسينيّ من العصر الصفويّ إلى العصر الراهن.

١. أوّل من رثى الإمام الحسين عليه السلام

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ أول من رثى وبكى الإمامَ الحسين عليه السلام في استشهاده هم أهل بيته وبنو هاشم، فكان أوّل عزاء أقيم على الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء فورَ استشهاده، وقد روي أنّه بعد أن سقط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض من الفرس، أقبل فرسُه ملطّخًا بالدماء إلى الخيام، فما إن سمعت نساؤه وأخواته وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله صوت ذي الجناح حتّى خرجن من الخيام ولطمن على رؤوسهن وخدودهن، فصاحت السيدة أم كلثوم بالبكاء:

وا محمّداه، وا جدّاه، وا أبتاه، وا أبا القاسماه، وا عليّاه، وا جعفراه، وا حمزتاه، وا حسناه، هذا حسين

بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء»، ثمّ غُشي عليها.[١]

وقد ورد في زيارة الناحية المقدّسة:

فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزيًا، والسرج عليه ملويًا، خَرَجْنَ من الحذور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وللوجوه سافرات، وبالعويل واعيات، وبعد العزّ مذللات، وإلى مصرع الحسين مبادرات.[٢]

لم يرد في كتب المقتل الموثقة ما يدلّ على كيفيّة رثاء آل هاشم وأحوالهم ليلة عاشوراء، ومع ذلك، في اليوم الحادي عشر من محرّم، عندما أخرجوهم من الخيام وقادوهم نحو الكوفة بأمرٍ من عمر بن سعد، سجلت أصحاب المقاتل كيفيّة توديع أمّهات الشهداء الثكالى وزوجاتهم الأرامل وبناتهم وأطفالهم الأيتام، ومنها ما أورده أبو مخنف في مقتله أنّ زينب الكبري عليها السلام تكلّمت بكلمات نارية، فخاطبت جدّها قائلة:

يا مُحَمّداه، صَلّ عَلَيكَ مَليكُ السَّماءِ، هذا حُسَينٌ بِالعَراء، مُزَمَّلٌ بالدِّماءِ، مُعَفَّرٌ بِالتُّرابِ، مُقَطَّعُ الأَعضاءِ، يا مُحَمَّداه! بَناتُكَ فِي العَسكَرِ سَبايا، وذُرِّيَّتُكَ قَتلى تَسفي عَلَيهِمُ الصَّبا..!

وأضاف أبو مخنف:

وما زالَت تَقولُ هذَا القَول، حَتّى أبكَت وَاللهِ كُلَّ صَديقٍ وعَدُوٍّ.[٣]

وأمّا المرّة الثانية التي ناح فيها آل هاشم وبكوا على أحبّائهم وأبكوا الناس فيهم، كان في الكوفة، وعلى الرغم من أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام كانوا من أهل هذه المدينة، إلّا أنّ شيعة الإمام الحسين عليه السلام كانوا يعيشون فيها أيضًا، وكانت هذه المدينة أساسًا تعتبر مركزًا للشيعة منذ خلافة الإمام علي عليه السلام؛ لذلك لمّا رأى أهل الكوفة حالة الأسرى بدأت عيونهم تُدمع لما جرى على الحسين لدرجة أنّ الإمام سجاد عليه السلام نهرهم قائلًا:

يا أهل الكوفة، إنّكم تبكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟[٤]

وقد ألقى الإمام سجاد عليه السلام وزينب كبري عليها السلام وأم كلثوم وفاطمة الصغري خُطبًا في الكوفة عن

١. الخوارزمي: ٤٣.
٢. بحار الأنوار: ١٠١/٣٢٢.
٣. يوسفي الغروي: ٢٥٩.
٤. المفيد، الأمالي: ٣٢١.

ظلامة القوم في حقّهم، وقد تحدّثت المصادر التاريخيّة عن تأثير هذه الخطب على النحو التالي:

بعد خطبة الإمام سجاد عليه السلام ارتفعت الأصوات بالنوح من جميع الجهات، وهم يقولون لبعضهم البعض: لقد هلكتم، ولكنّكم لا تشعرون.[١]

وعندما وصل أسرى أهل البيت عليهم السلام، فقد أهلَّ أهلُ الشام واستهلّوا فرحًا،[٢] لكن بعدما عرّف الإمام السجاد عليه السلام بحسبه ونسبه من خلال خطبةٍ ناريّةٍ ألقاها في جامع دمشق:

أنا ابن المقتول ظلمًا، أنا ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتّى قضى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تُسبى.. أيُّها الناس إنّ الله تعالى - وله الحمد - ابتلانا أهل البيت ببلاءٍ حسن؛ حيث جعل راية الهدى والتُقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا...[٣]

وتحدَّث عن مظلوميّة أبيه للناس، عمّ المجلس النحيب والبكاء، وأثّر فيهم تأثيرًا بالغًا، وقد انقلبت أجواء الشام بحيث اضطرّ يزيد الملعون أن يلقي مسؤوليّة قتل الحسين على الآخرين كعبيدالله بن زياد، ممّا أتاح لأهل الحسين عليه السلام فرصةً لإقامة العزاء لمدّة ثلاثة أيّام في الشام، ونقل السيد بن طاووس:

كانت من بين نساء يزيد، امرأة من محبّي بني هاشم، فلمّا رأت رأس الإمام حسين عليه السلام رفعت صوته بالبكاء والعويل.[٤]

ومن مواضع عزاء آل هاشم على الإمام الحسين عليه السلام هو اليوم الأربعين من استشهاده في أرض كربلاء، فعندما كانت السبايا تقاد من الشام إلى المدينة، عرجوا طريقهم نحو كربلاء لزيارة قبور أعزائهم القتلى، وعندما وصلوا هناك، التقوا بجابر بن عبد الله

١. ابن طاووس: ٦٩.
٢. الخوارزمي: ٦٧-٧٨.
٣. ابن شهر آشوب: ١١٥/٤.
٤. ابن طاووس: ٧٨.

الأنصاري، صحابي النبيﷺ وبعض من بني هاشم الذين قد جاؤوا لزيارة قبر الإمام حسينؑ، فأقاموا العزاء على شهداء كربلاء لبضعة أيّام، فلمّا سمعت النساء بصرخة البكاء لحرم الحسينؑ ضججن بالبكاء والنوح.[١]

٢. أوّل من بكت من النساء على الحسينؑ في المدينة

وكان من الأماكن التي أقيم فيها العزاء بعد استشهاد الإمام حسينؑ هي المدينة المنورة. فكانت المدينة هي حرم بني هاشم وآل بيت النبيﷺ وزوجاته؛ حيث كان أغلب الناس من أتباع أهل البيتؑ يُنسب أوّل رثاء الحسين في المدينة لزوجة النبيﷺ أم سلمة؛ وفقًا للمصادر التاريخيّة:

> **دخلت أم سلمة النبيّﷺ يومًا ما، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبيﷺ يبكي وإذا في يده شيء يقبّله، فقال النبيﷺ: يا أم سلمة، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ ابني هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دمًا فقد قُتل حبيبي...**[٢]

وعن أمّ سلمة أنّها قالت:

> **فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشدّدت رأسها واحتفظت بها، فلمّا خرج الحسين من مكّة متوجّهًا نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة فأشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلمّا كان اليوم العاشر من محرّم - وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين - أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثمّ عدت إليها آخر النهار، فإذا هي دمٌ عبيطٌ، فضججتُ في بيتي وبكيت...**[٣]

٣. رثاء الحسينؑ في المدينة للمرّة الثانية

وقد ارتفعت الأصوات للبكاء على الحسينؑ للمرّة الثانية في المدينة، عندما وصل خبر قتل الحسينؑ إلى والي المدينة؛ حيث أمر بأعلان الناس هذا الخبر، فلم يبق

١. المفيد: ٤٦؛ البيروني: ٣٢٩؛ ابن طاووس: ٨٦؛ ابن نما: ١٠٧.
٢. ابن قولويه: ٥٨.
٣. ابن واضح: ١٥٩/٢.

بالمدينة أحدٌ إلّا وخرجوا وهم يضجّون بالبكاء ما لم يسبق له نظيرٌ، فإذا بزينب بنت عقيل بن أبي طالب خرجت من بيتها وهي تصيح: واحسيناه، وا أخوياه، وا أهلاه، وا محمداه، ثم أنشدت هذه الأشعار:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي؟ أما لكم ... عهد؟ أما أنتم توفون بالذمم؟
ذريتي وبنو عمي بمضيعة ... منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمِ[1]

٤. رثاء الحسين عليه السلام في المدينة للمرّة الثالثة

وقد بكى أهل المدينة بما فيهم آل هاشم على شهداء كربلاء للمرّة الثالثة؛ حيث وصلت قافلة السبايا إلى المدينة في طريقهم من كربلاء، فحينما وصل ركب السبايا والأسرى ضواحي المدينة المنورة، قال الإمام زين العابدين عليه السلام لبشر بن حذلم - وكان معروفًا بقرض الشعر -: أُدخل المدينة وانعَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام؛ قال بشر:

فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ رفعت صوتي بالبكاء، وأنشدت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدار[2]

ثم قلت: يا أهل المدينة، وجّهني مولاي علي بن الحسين وهو نازلٌ بوضع كذا مع عيال أبي عبد الله الحسين ونسائه، قال: فتركوني مكاني وغادروني؛ فضربت فرسي حتّى رجعت، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّأت رقاب الناس حتّى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين داخلًا، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، فجلس وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كلّ ناحيةٍ يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّةً شديدةً، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فخطب فيهم خطبةً مؤثّرة، ثمّ دخل زين العابدين عليه السلام إلى المدينة فرآها موحشة باكية، ووجد ديار أهله خالية، تنعى أهلها، وتندب سكانها.. وهكذا أقامت

١. انظر: المفيد، الأمالي: ٣١٩؛ الإرشاد: ١٢٣/٢ و 124؛ المسعودي: ٨٠/٣ ؛ البلاذري: ٢٢١/٣
٢. الأمين: ٦١٢/١.

مدينة الرسول أيّامًا بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي إلى النواح الفاجع...[١] وما تحنأت امرأة من بني هاشم، ولا أجالت في عينها مرودًا، ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.[٢]

٥. نُعاة الحسين عليه السلام الأوائل

لقد تأثّر عددٌ من الشخصيّات الكبيرة في العالم الإسلاميّ بمظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام إثر استشهاده، فبكوا عليه وأنشدوا له المراثي؛ فيروى أنّ خالدًا بن معدان وهو من فضلاء التابعين، لمّا شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهرًا من جميع أصحابه، فلمّا وجدوه بعد أن افتقدوه وسألوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشأ يقول:

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد ... مترمّلًا بدمائه ترميلا
وكأنّما بك يا بن بنت محمد ... قتلوا جهارًا عامدين رسولا
قتلوك عطشانًا ولما يرقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنّما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا[٣]

ومن أوّل من أنشد قصيدة في مصيبة الإمام حسين عليه السلام عبيد الله بن حر الجعفي وسليمان بن قتة.[٤] ولما كان مقتل الحسين عليه السلام جاء عبيد الله بن حرّ إلى كربلاء ووقف على أجداث الشهداء، وبكى بكاءً شديدًا واستعبر ورثى الحسين وأصحابه، منشدًا قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وندمه لعدم اشتراكه في القتال، وهذه الأبيات من تلك القصيدة:

يقول أمير غادر وابن غادر ... ألا كنت قابلت الشهيد بن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
فيا ندمي أن لا أكون نصرته ... ألا كلُّ نفس لا تسدد نادمة
ويا ندمي أن لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نَصره سقيًا من الغيث دائمة
وقفت على أجداثهم ومجالهم ... فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة

١. ابن طاووس: ٨٧ و٨٨.
٢. ابن داود: ٢٧٧.
٣. ابن طاووس: ٧٦.
٤. التستري: ٢٩٢/٥، باب السين.

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سراعًا إلى الهيجا حماة خضارمة
تآسوا على نصر ابن بنت نبيهم ... بأسيافهم آسادَ غيلٍ ضراغمة
فإن تقتلوا فكل نفس تقية ... على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم ... لدى الموت سادات وزهرًا قماقمة
أتقتلهم ظلمًا وترجوا ودادنا ... فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم ... فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهُمّ مرارًا أن أسير بجحفل ... إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة
فكفوا وإلا زرتكم في كتائب ... أشدّ عليكم من رصوف الديالمة[1]

وكذلك سليمان بن قتة، وكان من أوائل الراثين له، فمن شعره فيه قوله:

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أر أمثالها إذ تجلت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أضحت منهم برغم تخلّت
وكانوا رجاء ثمّ عادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
أتسألنا قيس فنعطي فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غنى قطرة من دمائنا ... سنطلها يومًا بها حيث حلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم ... ولم تكثر القتلى بها حين سلت
فإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاب المسلمين فذلّت[2]

وممن أنشد مرثية في الحسين عليه السلام هو أبو الرمح الخزاعي، وفيما يلي بعض منها:

أجالت على عيني سحائب عبرة ... فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت
تبكي على آل النبي محمد ... وما أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشجوا سيوفهم ... وقد نكأت أعداؤهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقابًا من قريش فذلت[3]

٦. العزاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام

يبدو أنّه كان هناك العديد من العوامل المؤثّرة في ترويج وانتشار الرثاء في عصر الأئمّة عليهم السلام نذكرها فيما يلي:

١. أبو مخنف: ٢٧٦ و ٢٧٧.
٢. المصدر نفسه.
٣. ابن نما: ١١١.

أوّلًا: السيرة العمليّة للأئمّة عليهم السلام

كان من سيرة الأئمّة المعصومين عليهم السلام المؤكّدة البكاء على جدّهم الشهيد عليه السلام وكانوا يرثونه أيّام محرم، ويحاولون إقامة العزاء على الإمام حسين عليه السلام، وقد روى الشيخ المفيد في "***مسار الشيعة***" عن الإمام صادق عليه السلام أنّ في يوم عاشوراء، يستحبّ إقامة تبيين سنن المصائب والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس والتغذّي بعد ذلك بما يتغذّى أصحاب المصائب كالألبان وما أشبهما دون اللذيذ من الطعام والشراب.[١]

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال حول تعظيم ذكرى استشهاد الإمام حسين عليه السلام عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام:

عندما دخل شهر محرّم، لم يُر والدي فرحًا؛ بل كان حزينًا دائمًا، إلى أن يدخل العاشر من محرم، فكان ذاك اليوم له يوم المصيبة والحزن، فيقول: هذا هو اليوم الذي استشهد فيه الحسين عليه السلام.[٢]

وأورد ابن شهر آشوب عن الإمام رضا عليه السلام أنه قال:

إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدًا.[٣]

وفي عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام؛ حيث تسنّى لهما عقد جلسات الرثاء جماعةً بحضورهما، وكان الشعراء يقرؤون الأشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام؛ فلمّا دخل كميت الأسدي الشاعر الشيعي المرموق على الإمام أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

يا بن رسول الله؟ إني قد قلت فيكم أبياتًا أفتأذن لي في إنشادها؟ قال: هات! فأنشأ يقول:

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان

١. المفيد: ٤٣.

٢. الحرّ العاملي: ٣٩٤/١٠.

٣. ابن شهر آشوب: ٨٩/٤.

لتسعةٍ بالطف قد غودروا صاروا جميعًا رهن أكفان

فبكى الإمام عليه السلام وبكى ابنه الصادق عليه السلام، وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء.. فلما بلغت إلى قولي:

من كان مسرورًا بما مسَّكم أو شامتًا يومًا من الآن
فقد ذللتم بعد عزٍّ فما أدفع ضيمًا حين يغشاني

فأخذ بيدي، ثم قال: اللّهُمَّ اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر.[1]

وفي عصر الإمام صادق عليه السلام، كان الرثاء الحسيني أكثر ازدهارًا من أيّ وقتٍ مضى، فعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يقول:

إنّ جدّي الحسين عليه السلام ليرى مَن يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما أعدَّ لك لفرحتَ أكثر ممّا جزعتَ.[2]

لذلك كان الشعراء الشيعة الأفاضل يرتادون إليه وينعون جدّه الحسين عليه السلام، فقد أورد أبو الفرج الإصفهاني عن إسماعيل التميمي أنّه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، إذا استأذن آذنه السيد الحميري، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشد قوله:

أمرر على جدَث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة
يا أعظمًا لا زلت من وطفاء ساكبة رويّة
فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيّة
وابك المطهر للمطهر والمطهّرة النقيّة
كبكاء معولة أتت يومًا لواحدها المنية[3]

بالإضافة إلى السيد الحميري وأبو هارون المكفوف، ثمّة شعراء كبار آخرون نحو: كميت الأسدي، سفيان بن مصعب العبدي، عبد الله بن غالب، جعفر بن عفّان، فضيل الرّسان وأبو عمارة أنشدوا في رثاء الحسين عليه السلام بين يدي الإمام الصادق عليه السلام وفي بيته الشريف.[4]

١. الأميني: ٢/٢٠٢.
٢. المصدر نفسه: ٢/٢٣٥.
٣. انظر: الأميني: ٢٣٥، ٢٠١، ٢٩٤، ٢٩٥؛ ابن قولويه: ١١٢.
٤. المصدر نفسه.

وكان الإمام رضا عليه السلام حزينًا ومغمومًا على مدار عشرة محرّم، يعقد مجلس عزاء في رثاء جدّه عليه السلام، ويطلب من الشعراء أو الخطباء الحاضرين في مجلسه أن ينشدوا قصائد في رثاء الإمام حسين عليه السلام، تارةً يَبكي وتارة يُبكي الآخرين على مصاب جدّه؛ كما عن دعبل الخزاعي أنّه قال:

رأيته عليه السلام جالسًا جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلًا قال لي: مرحبًا بك يا دعبل، من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحدًا كان أجره على الله.. ثمّ التفت إليّ وقال لي: يا دعبل، ارث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيًّا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت، قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانًا بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتِ
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
توفرا عطاشًا بالفرات فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتِ
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتنى بكاس الثكل والفزعات
بنات زياد فى القصور مصونة ... وآل رسول الله منهتكات
وآل رسول الله تُسبى حريمهم ... وآل زياد آمنوا السربات[1]

ثانيًا: حث الأئمّة عليهم السلام على إقامة العزاء على الحسين عليه السلام

كانت توجيهات الأئمّة عليهم السلام وتشجيعهم على إقامة العزاء الحسيني على ثلاثة أشكال:

١. الروايات التي وردت في ثواب البكاء وذرف الدموع للحسين عليه السلام.

٢. الروايات التي وردت في ثواب الإبكاء وإنشاد المراثي للحسين عليه السلام.

٣. حثّ الأئمّة عليهم السلام على إقامة مجلس العزاء الحسينيّ في بيوت الشيعة.

كما أنّ مالك الجُهنيّ سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام عن بُعد، فقال:

١. انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٢٠/١٤٨؛ الخوانساري: ٣/٣١٥.

من لم يمكنه السفر فلينْدُب الحسين عليه السلام ويَبكيه ويأمر مَن في داره بالبُكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبُكاء بعضهم بعضًا في البيوت، وليعزّ بعضهم بعضًا بمصاب الحسين عليه السلام، فأنا ضامِنٌ لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزَّ وجلَّ جميع هذا الثَّواب.. فإن استطعت ألّا تنتشر يومك في حاجةٍ فافعل.. ولا تدَّخِرنَّ لمنزلك شيئًا...[1]

وها هو مِسْمَع بن عبد الملك كِرْدين البصريّ، يسأله الإمام الصادق عليه السلام:

أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: لا؛ أنا رَجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند الخليفة، قال له: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع مِن الطّعام حتّى يستبين ذلك في وَجهي، قال: رحِمَ الله دَمعتَك، أما إنّك مِن الَّذين يُعدُّون مِن أهل الجزع لنا، والّذينَ يَفرحون لِفَرحِنا ويحزنون لِحُزننا.[2]

٧. شعراء المراثي

وقد قلّ إنشاد المراثي من جانب الشعراء الشيعة في العصر الأموي؛ بسبب ضغوط جهاز السلطة وقمعه الشديد، وكانت معظم القصائد في رثاء الحسين تكتب سرًّا، كما يقول أبو الفرج الأصفهاني: «لم يصلنا شيء من الشعراء المتقدمين في رثاء الحسين؛ لأنّهم لم يجرؤوا على ذلك خوفًا ورهبة من بني أميّة»،[3] وحتّى بعض الشعراء الشيعة اضطروا إلى إنشاد الشعر في مدح الأمويين حفظًا لأنفسهم، كما ينقل أخو كميت الأسدي أنّه أرسله كميت إلى الإمام الباقر عليه السلام واستأذنه بشأن إنشاد الشعر في مدح بني أُميّة حفظًا لنفسه. فقال الإمام عليه السلام: «لا بأس عليه، وليقل ما يريد».[4]

وفي بعض فترات العصر العباسي، كان الوضع أكثر حدّة؛ لكن في بداية ظهور دولة العبّاسيّين؛ حيث لم تتعزّز بعد، وهكذا في بعض الفترات التي لم تتخذ الدولة الاتّجاه المعادي

١. ابن قولويه: ٩٣/٧.
٢. المصدر نفسه، باب ٣٢، ح ٦، ١٠٨.
٣. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٢١.
٤. المصدر نفسه: ٣١/١٧.

للشيعة، تمكّن الشعراء الشيعة من قرض العديد من القصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

وقد أورد المرحوم السيد محسن الأمين قائمة بأسماء الذين كتبوا الشعر عن الإمام حسين عليه السلام في القرون الثلاثة الأولى، منهم: عقبة بن عمرو الرازي، وسليمان بن قتة، وأبو الفرج الخزاعي، ورباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وبشير بن حذلم، وأم لقمان بنت عقيل، وفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وأبو دهبل الجمحي، وخالد بن معدان، وعبيد الله بن حر الجعفي، وجعفر بن عفان الطائي، ومنصور النمري، ودعبل الخزاعي، وحسين بن ضحاك، وقاسم بن يوسف الكاتب.[١]

وكان في كلّ عصر عدد من الشعراء الشيعة المشاهير رواد الشعر الشيعي ورثاء الإمام حسين عليه السلام، وقد أذابوا أنفسهم في ولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم، فكان من بين هؤلاء الشعراء كميت بن زيد الأسدي، وكُثَيِّر عَزَّه، وفرزدق، والسيد الحميري في عهد الأمويّين، وفي العصر العباسي الأوّل (١٣٢ ـ ٢٣٢ ق) كان هناك شاعران عملاقان هما: منصور النمري ودعبل الخزاعي، وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢ – ٣٣٤ ق) أُنشد الكثير من الشعر الشيعي، وإنّ بعض هذه القصائد قد كتبها الشعراء العلويون، ومن جملة هؤلاء: محمد بن صالح العلوي الحماني ومحمد بن علي، وكانا من أحفاد العباس بن علي.[٢]

٨. خصائص الرثاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام

يمكن دراسة خصائص الرثاء الحسيني في عصر الأئمّة عليهم السلام من ناحيتين:

١. من حيث المكان: كانت مجالس العزاء تقام علنًا بجوار ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء،[٣] ولكن حفاظًا على الشيعة في أموالهم وأنفسهم، كانت تعقد مجالس العزاء في غير كربلاء في البيوت؛ حيث تجتمع الشيعة أيّام محرّم في المنازل ويعزي بعضهم البعض، ذلك بتوجيه من قبل الأئمّة عليهم السلام.[٤]

١. الأمين، أعيان الشيعة: ٦٢٢/١.
٢. شوقي ضيف: ٣٨٦.
٣. ابن قولويه باب ١٠٨، ح ١، ص ٣٤٠.
٤. المصدر نفسه، باب ٧١، ح ٧، ص ٩٣.

٢. من حيث الشكل: كان العزاء في عصر الأئمّةعليهم السلام، يقتصر على إنشاد المراثي والبُكاء والإبكاء، وكان غالبًا ما في شكل شعر بحيث كان الشعراء الشيعة يلقون المراثي على الحضور، وكان هناك من يُعرف بالمنشد وهو من يقرأ قصائد شعراء آخرين، ومنهم من أنشد بين يدي الإمام الصادقعليه السلام، كما يقول العلّامة الأميني في سيرة السيد الحميري:

> **بالإضافة إلى السيد، هناك آخرون قد قرأوا قصائدهم في رثاء الإمام الحسينعليه السلام في محضر الإمام صادقعليه السلام مثل فضيل بن رسّان وأبو هارون المكفوف"، و"منهم من كان يدعى أبو عمارة المنشد".**[١]

٩. العزاء الحسيني في العصر البويهي

ومن أهمّ مراحل العزاء للإمام الحسينعليه السلام هي ما وقعت بعد تولّي آل بويه الحكم في القرن الرابع الهجري؛ حيث كانت ذروة ازدهار الشيعة، لقد وصلت العديد من الحكومات الشيعيّة إلى السلطة خلال هذا القرن كالدولة العلوية في طبرستان، والزيدية في اليمن، والحمدانيين في شمال العراق، والفاطميين في مصر، وآل بويه في العراق وإيران. وقد أقيم مجلس العزاء الحسيني لأوّل مرّة في هذا القرن علانيةً في الأزقة والأسواق من قبل عموم الناس، وقد سجّل عامّة المؤرخين الإسلاميّين كيفيّة إقامة مجالس العزاء الحسيني، خاصّة المؤرخين الذين كتبوا الوقائع على ترتيب السنوات، من جملتهم: ابن الجوزي في *"المنتظم"*،[٢] وابن كثير في *"البداية والنهاية"*،[٣] وابن الأثير في *"الكامل"*،[٤] واليافعي في *"مرآة الجنان"*[٥] والذهبي في *"تاريخ الإسلام"*[٦] ضمن وقائع سنة ٣٥٢ ق.

---

١. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ١٢.
٢. ج ١٥/٧.
٣. ج ٢٤٣/١١.
٤. ج ٥٤٩/٨.
٥. ج ٣/ ٢٤٧.
٦. ص ١١.

والبويهيّون هم أوّل من بادروا بتخليد ذكر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؛ إذ أمر السلطان معزّ الدولة، في شهر محرم سنة ٣٥٢ هـ - بتعطيل الأسواق، ومنع البيع والشراء، فالتزمت الناس بإقامة المأتم للحسين الشهيد عليه السلام وإبرازها في هيئة مواكب خارج البيوت، فكانت النساء يخرجن ليلًا، والرجال نهارًا، حاسرين وحفاة، تحيتهم التعزية والمواساة بمأساة الحسين عليه السلام، وقد أعطى ابن الأثير تقريرًا من الاحتفالات التي أقيمت في ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، نقلًا عن مشاهداتهما في اليوم العاشر من شهر محرّم الذي كانت الشيعة تقيم فيه من المآتم، والنَوح وإظهار الحزن، وأنّها كانت مشهورة آنذاك.

> **وقد استخدم البويهيّون شتّى طقوس العزاء الإيرانيّة والتي تأصّلت لاحقًا في ذكرى استشهاد أبي عبد الله، كـاللطم (على الصدور) وارتداء قطعة من اللُبد السوداء كانت تتدلّى من طرفي أعناقهم، وقد لقي هذا الأمر إقبالًا على نطاق واسع من قبل المناطق الشيعيّة لا سيّما بغداد، كما أصدر سيف الدولة الحمداني، أحد حكام آل حمدان في أراضي حكومته، في شمال العراق، أمرًا للعزاء العام للإمام الحسين عليه السلام.**[١]

وفي عصر الفاطميين في مصر، على الرغم من منافستهم لآل بوية في الحكم، اتبعوا طريقتهم، وأقاموا المآتم في يوم عاشوراء، كما أورد المقريزي ما يلي:

> **في عهد المعزّ لدين الله، عام (٣٦٣ ق)، كان شيعة مصر يقيمون المأتم يوم عاشوراء عند قبر بنات الأئمة، أم كلثوم ونفيسة، ويدفعون أموالًا هائلةً على إطعام الناس من المأكولات والمشروبات، وفي عام (٣٩٦ ق) أمروا بتعطيل الأسواق، كما عطل ابن مامون في (٥١٥ ق) يوم عاشوراء وجعله يوم صدقة.**[٢]

وقد استمرّ تمسّك الناس بإقامة العزاء وفقًا للمقريزي، بعد سقوط الفاطميين في مصر، ولم تتمكّن الأيّوبيّون من إيقافه.[٣] ومن ذلك الحين انتشرت ثقافة مأتم الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين الشيعة بسرعة وأصبحت من أهم الطقوس الشيعيّة،

١. ابن الجوزي، المصدر نفسه.
٢. المقريزي: ٣١٤ ـ ٣١٨.
٣. المصدر نفسه.

وقد أشار إليه أبو ريحان البيروني من علماء القرن الرابع الهجري في *الآثار الباقية*:

وأمّا الشيعة فهم يندبون ويبكون في هذا اليوم؛ يقام المأتم في مدينة السلام (بغداد) وفي مدنٍ أخرى على حدّ سواء.[١]

كان في عهد البويهيّين في بغداد، يمنع ويؤجَّل حفل النيروز إن صادف عاشوراء.[٢] ولم يتمكّن الحنابلة من منع المأتم لكثرة عدد الشيعة ودعم البويهيين لهم،[٣] وإن كانت ردود فعلهم قويّة في بعض الأحيان؛ إذ تقوم الحنابلة في الثامنة عشرة من محرّم وهو يوم مقتل مصعب بن الزبير بإقامة العزاء تعندًا للشيعة، ممّا أدّى إلى حدوث اشتباكات بين السنّة والشيعة في بغداد، وزادت حدّة الاشتباكات في يوم عاشوراء، ولم تتمكّن الحكومة من إحلال الأمن والاستقرار؛ لذلك طلب بعض الوزراء البويهيين الذين حكموا بغداد عدم إقامة المآتم، ومنعوها أعوامًا أخرى؛ حفظًا للأمن وحقنًا للدماء.[٤]

وبعد زوال دولة البويهيين، تمّ استبدالهم بحنابلة بغداد بدعم من السلجوقيين واشتدّ الخناق على الشيعة في أيّام عاشوراء خصوصًا والتحرّكات الشيعيّة عمومًا؛ حيث مسحوا شعارات شيعيّة من المساجد، وأمروا بقراءة (الصلاة خير من النوم) بدلًا من (حي على خير العمل) في حي كرخ،[٥] واشتدّت المضايقات على الشيعة لدرجة أنّ الشيخ الطوسي، العالم الشيعي الكبير، قد أُجبر على ترك بغداد والهجرة إلى النجف الأشرف عام (٤٤٨ ق)، لكن بمرور الوقت، خفّت من حدّة تعصّب السنّة حيث بدأوا بالتعايش السلمي مع الشيعة، بحيث دخلت فيهم كذلك ثقافة العزاء في يوم عاشوراء.[٦]

---

١. البيروني: ٣٢٩.
٢. الأتابكي: ٤/٢١٨.
٣. ابن الكثير، البداية والنهاية: ١١/٢٤٣.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه: ١٢/٦٨.
٦. الرازي: ٣٧٠ ـ ٣٧٣.

١٠. العزاء الحسينيّ في عهد الصفوية

لا شكّ أنّه في عصر الصفوي، دخلت ثقافة العزاء الحسيني مرحلة جديدة، فلم يكن ملوك الصفويّة من محبّي أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل وإنّهم كانوا يروّجون لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ونشر المذهب الشيعي؛ فإنَّ ذكر قيام عاشوراء بوصفه من أهمّ الشعائر الشيعيّة، نما وازدهر إلى شكلٍ كبيرٍ في هذه الحقبة الزمنيّة؛ لذلك سنقوم بدراسة المأتم الحسيني في هذا العصر من ناحيتين:

أ) من حيث التوسّع: لقد امتدّ في هذا العصر العزاء الحسيني إلى جميع مناطق الدولة الصفوية، وحتّى إلى القرى، الأمر الذي كان مستحيلًا سابقًا، وبالنظر إلى أنّ أغلبيّة الناس في بعض المناطق كإصفهان كانوا من السنّة المتعصبين.[١] ومن ناحية أخرى، فإنّ فترة المأتم بالإضافة إلى العشرة الأولى من محرّم، توسّعت لتشمل أيام استشهاد الأئمّة عليهم السلام في صفر ورمضان، في حين ليس في التقارير ما يدلّ على العزاء الشيعي قبله، عدا ما ورد في مأتم يوم عاشوراء، ولا يخفى منذ عصر الإمام صادق عليه السلام، كانت شيعة العراق تقيم المأتم في كربلاء وحول قبور الأئمّة عليهم السلام في أيّام غير عاشوراء، وقد وردت فيها فضل زيارة الحسين عليه السلام.[٢]

وهذا الأمر قد جعل المجتمع الشيعي متماسكًا، نظرًا لعناية الملوك الصفويّين، فكانوا يشجّعون الشعراء، بدلًا من مدحهم ينشدون أشعارًا عن مناقب الأئمّة الأطهار عليهم السلام ومقتل الإمام الحسين عليه السلام، كما أشار إليه إسكندر بيك التركماني في "*تاريخ عالم آراء عباسي*"، ذيل الشاه طهماسب:

> **في الأيّام الأولى من فترة حكمه كان يهتمّ بأمر هذه الطبقة (الشعراء).. وفي أواخر حياته يبالغ جدًّا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه أخذ يعتبر هذه الطبقة واسعةَ المشرب لا في زمرة الصلحاء والأتقياء، فلم يعد يهتمّ بهم كثيرًا.[3]**

١. ابن بطوطة: ٢١٤.
٢. ابن قولويه: ١، الأبواب: ٧٠، ٧١، ٧٢،٧٣، ص ١٨٦ ـ ٢٠٠.
3. التركماني: ٢/٢٣.

وقد ترك الشعراء الكبار كمحتشم الكاشاني تراثًا شعريًّا رائعًا في رثاء الإمام الحسين عليه السلام خلال هذه الفترة، والتي كانت مادّة المنابر ومجالس العزاء؛ ومن ناحية أخرى، كان للملوك الصفويّين الكثير من الاهتمام بالشعائر الدينيّة والشيعيّة؛ يشير نصر الله فلسفي إليه في كتابه:

كان في الأيام العشرة الأولى من محرم تقام مجالس عزاء من قبل السلطان والشيوخ وأمراء البلاد في العاصمة وسائر المدن، كما تقام مواكب العزاء في يوم وليلة عاشوراء واليوم الحادى عشر من رمضان في مدن إيران المختلفة. وكان الشاه عباس يقيم العزاء حتى في رحلات الحرب، كما قام به وقد حاصر قلعة الإيروان في حربه مع الأتراك العثمانيين، وفي ليلة عاشورا صاح من معسكره صيحةً أذعرت سكان القلعة المحاصرين وزعموا أنّ الشاه عباس قد أمر بهجومٍ مباغتٍ ليلًا، فسقطت القلعة ووقعت بيد الإيرانيين.[1]

وتشير تقارير الرحّالة، بالرغم من احتوائها على الأخطاء وسوء الفهم والتشاؤم، إلى انتشار العزاء الحسيني على نطاقٍ واسعٍ في عصر الصفويّة في جميع أنحاء إيران، وحتّى تأثّرت حكومة المغول في الهند بحكومة الصفويّة، وقد وصل مؤسّس أسرة غوركان الهنديّة إلى الحكم بدعمٍ من الصفويين، فشاع من ذلك الحين فصاعدًا إقامة مأتم للإمام الحسين عليه السلام بين المسلمين في أجزاء مختلفةٍ من شبه القارة الهنديّة، ولا يزال الشيعة والسنة يقومون بإقامة مجالس عزاء المشتركة.[2]

١١. شكل العزاء الحسيني في العهد الصفوي

كان عصر الصفويّة – وهو عصر إقامة الدولة الشيعيّة في إيران – فترةَ إحياء الآداب والرسوم الدينيّة والتراث الثقافي الشيعي، وكان من بينها أشكال العزاء والنواح على الإمام الحسين عليه السلام، كما يمكن اعتبار هذا العصر فترة ازدهار العزاء الحسينيّ، مع أنّ تطوّره لم يكتمل خلال هذه الفترة، إلّا أنّه يمكن القول

١. فلسفي: ٨٤٧/٣.
2. هاليستر: ١٩٩ ـ ٢٠٢.

إنّ الشكل المتطوّر لعزاء عاشوراء ومحرّم متجذّر في العصر الصفوي. وفيما يلي شرح ذلك:

١. قراءة مرثية (بالفارسيّة: روضه خواني): ظهرت كلمة روضة و "روضه خواني" (بالفارسيّة) في أوائل العصر الصفوي، ولم يكن المصطلح موجودًا قبل ذلك، يقول المرحوم الميرزا حسين النوري في كتاب *اللؤلو والمرجان*:

> **لما قام الفاضل المتبحر الألمعي الملّا حسين كاشفي بتأليف كتاب "*روضة الشهداء*" حوالي عام تسعمئة، كان لدى الناس رغبة في قراءة هذا الكتاب في مجالس العزاء، وبسبب البلاغة الجارية في نصّه لم يكن الجميع يتمكّنون من قراءته، ولكنّ الأشخاص المميّزين كانوا يقرأونه بشكل صحيح ويلقونه على الناس في المآتم، فأصبح هؤلاء يُعرفون باسم قراء الروضة لقراءتهم كتاب "*روضة الشهداء*"، ثمّ تدريجيًّا انتقلوا من هذا الكتاب إلى كتب أخرى، ثمّ بدأوا أن يلقوا المطالب حفظًا، لكن اللقب بقي كما هو.**[١]

وتجدر الإشارة إلى أنّه في العصر الصفوي، كان قرّاء الروضة (العزاء) يقومون بعمل قرّاء المناقب ومنشدي المراثي والمداحين في الماضي، فقد احتلّوا مكانة رواة القصص وقرّاء مقتل وحتّى الوعاظ.

٢. مواكب اللطميّة: فقد راجت مواكب اللطميّة في أوساط الشيعة منذ زمن البويهيّين؛ فكانت مواكب اللطميّة في العصر الصفوي، تنزل إلى الطرق والأزقة، مردّدة الأشعار الموزونة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وقد شاع في هذه الحقبة، قرع الطبول والصنوج واستعمال بعض المعدّات المستخدمة في ساحة المعركة، لزيادة تشجيع الناس على المراسيم هذه وتعظيمها، كما راج نفخ الصور، وحمل الراية، وتزيين الفرس من قبل أصحاب المواكب الحسينيّة، وكذلك يُعدّ تسيير المركب بدون راكب في الطرق العامّة والممرّات أثناء حركة الموكب من التقاليد الشائعة في ذاك العصر.[٢]

٣. التعزية والتشبيه: وفقًا لتقارير كتب الرحالة عن كيفيّة المآتم في عصر الصفويّة،

---

١. النوري:٨.

٢. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومى ايران: ١/ ١٠.

يمكن القول إنّ التعزية والتشبيه كشكلٍ مستقلٍّ من عزاء محرم بجانب مواكب اللطميّة، لم تكن موجودة كما هي اليوم، ولكنّها كانت في المراحل الأوّليّة والابتدائيّة منها؛ ورد في مذكرات رحالة بيتر ودلاوله في عصر الشاه عباس:

بعدما حان اليوم العاشر من شهر محرم، ومقتل الحسين (وقد تزامن هذا العام مع ٨ يناير) في أصفهان وجميع ضواحيها، وكما وصفت آنفًا في مقتل عليّ، نزلَت مواكب عزاء كبيرة يحملون بطريقتهم الخاصّة الأعلام والبيارق ويضعون على خيولهم العديد من الأسلحة والعمائم، ويرافقها العديد من الجمال يحمل عليها الصناديق، داخل كلّ منها عدّة أطفال يمثّلون أطفال الحسين الشهيد، بالإضافة إلى ذلك، هناك توابيت تحملها المواكب ملفوفة بالمخمل الأسود، وعليها عمامة خضراء - على الأرجح - بجانب حسام ...[١]

لكن بالنسبة لتطوّر التعزية (التشبيه) كما هو اليوم وتاريخه، فقد أورد نصر الله فلسفي ما يلي:

يبدو أنّ التعزية لم تكن رائجة في إيران خلال عهد الشاه عباس وخلفائه؛ لأنّنا لا نجد ذكرًا لها في أيّ كتابٍ سواء للمؤرخين أم الرحالة عند ذاك، أصبح إقامة مجالس العزاء تشيع منذ عهد كريم خان الزند، لقد كتبوا أنّ في عهده جاء سفير من الإفرنج إلى إيران، وتحدّث له حول تأثير المشاهد المأساويّة، فأمر كريم خان بعد سماع حديثه، بإعداد تمثيليّة حول مشاهد من حادثة عاشوراء وقصّة اثنين وسبعين نفرًا استشهدوا في كربلاء، وهكذا رتّب التمثيليّة التي أصبحت تعرف اليوم باسم "التعزية".[٢]

وكانت التعزية في البدايات تُقام على الساحات والميادين الوسيعة، ثمّ بعد ذلك انتقلت إلى الأسواق والخانات والمنازل الشخصيّة والحسينيّات التي أنشات في عصر القاجار. وعلى كلّ حال، تطور العزاء الحسيني في فترة القاجار، سواء من حيث الكيف والمحتوى أم من حيث المكان لإقامة العزاء.[٣]

١. بيتر و دلاوله: ١٢٥.
٢. زندگانی شاه عباس اوّل: ٥: ٣/ ٨٤٨.
٣. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومی ايران: ١٢و ١٣.

نتيجة البحث

لقد اتّضح من خلال هذا البحث أنّ إقامة العزاء على سيد الشهداءﷺ له تاريخ طويل وماضٍ عتيق في الإسلام، ابتداءً بعهد النبيﷺ والأئمّة المعصومينﷺ، مرورًا بعصر البويهيّين والصفويّين، ووصولًا إلى العصر الحديث. وعليه يمكن تقسيم تاريخ تطوّر العزاء الحسيني إلى أربع مراحل كالتالي؛ منها: النياحات الأولى على الحسينﷺ بعد دفنه مباشرةً؛ إذ كان بنو هاشم وأهل المدينة هم أوّل من بكوه بعد استشهاده. ومنها: العزاء الحسيني منذ عصر الإمام الباقرﷺ فما بعد؛ حيث كان الشيعة الموالون لآل البيتﷺ يُقيمون العزاء والمأتم كلّ عامٍ في ذكرى استشهاد الإمام الحسينﷺ بتشجيع الأئمّةﷺ وتوجيهٍ منهم. ومنها: إقامة العزاء على الحسين علانيّةً منذ العهد البويهي (٣٥٢ ق) حتّى العهد الصفوي؛ حيث اتّسع نطاق إقامة المناحات ومجالس العزاء على الحسينﷺ في العراق وإيران. ومنها: التطوّر الشكلي للعزاء الحسيني من العصر الصفويّ إلى العصر الراهن؛ إذ أخذ العزاء الحسينيّ دورًا متّسعَ النطاق في ظلّ عناية الدولة الصفويّة ونال شيعة آل البيتﷺ كلّ حرّيّتهم في إظهار رغباتهم وشعائرهم لإحياء ذكرى شهيد الحقّ الإمام الحسينﷺ.

مصادر البحث

القرآن الكريم
١. ابن الأثير، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
٢. ابن الأثير، عز الدين، الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ش.
٣. ابن الجوزي، سبط، تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضى، قم، ١٤١٨ق.
٤. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
٥. ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين، مناقب آل ابى طالب، موسسة انتشارات علّامة، قم، ٣٧٩ ش.
٦. ابن قولويه، أبو القاسم، كامل الزيارات، مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ ش.
٧. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨ق.
٨. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
٩. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيّين، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦ق.
١٠. أبو مخنف الأزدي، لوط، وقعة الطف، تحقيق: محمد هادي يوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٣٦٧ش.
١١. الأتابكي، أبو المحاسن تغري البردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (بدون تاريخ).
١٢. أسد، حيدر، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ق.
١٣. الأمين، السيد محسن (م ١٣٧١) أعيان الشيعة، دار التعاريف للمطبوعات، بيروت، (بدون تاريخ).
١٤. الأميني، عبد الحسين، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ق.
١٥. اين الجوزي، أبو الفرج، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدرآباد ركن، ١٣٥٨ش.
١٦. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر محمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ش.
١٧. بيتر ودلاوله، سفرنامه بيتر ودلاوله، ترجمة: شعاع الدين شفا، شركت انتشارات علمى وفرهنگى، ١٣٧٠ش.
١٨. البيروني، أبو ريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).
١٩. تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ترجمة: أبوتراب نوري، منشورات مكتبة سنائي ومكتبة تأييد أصفهان، (بدون تاريخ)
٢٠. التركماني، إسكندر بيك، تاريخ عالم آراي عباسي، نشر طلوع وسيروس (طبعة رحلية)، ١٣٦٤ش.
٢١. التستري، محمّد تقي، قاموس الرجال، جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مكتب الانتشارات الإسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٤١٠ق.

٢٢. تشلكووسكي، بترو، تعزيه هنر بومى ايران، ترجمة: داوود حاتمى، شركت انتشارات علمى و فرهنگى، ١٣٦٧ش.
٢٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة السادسة، ١٤٠٣ق.
٢٤. الحلي، ابن داود، رجال ابن داود، منشورات الرضى، قم، (بدون تاريخ)
٢٥. الحلي، ابن نما، مثير الأحزان، قم، مدرسة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤٠٢ق.
٢٦. الخوارزمي، موفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء الثاني، دار أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ق.
٢٧. الخوانساري، محمّد باقر موسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، قم، الطبعة الأولى، ١٣٩٠ ش.
٢٨. الرازى، عبد الجليل: النقص، (بدون مكان) (بدون تاريخ)
٢٩. السيد ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ ق.
٣٠. السيد ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ ش.
٣١. شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، (بدون تاريخ).
٣٢. الشيبي، كامل مصطفى، تشيّع وتصوف، ترجمة: عليرضا ذكاوتي قراغوزلو، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٧٤ش.
٣٣. الصدوق، ابن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠ ق.
٣٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
٣٥. فلسفي، نصر الله، زندگانى شاه عباس اول، انتشارات علمى، طهران، ١٣٦٩ش
٣٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول للكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.
٣٧. المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق.
٣٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (١٤٠٩ق)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، الطبعة الثانية.
٣٩. المفيد، محمد بن نعمان، الإرشاد، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣ق.
٤٠. المفيد، محمد بن نعمان، مسار الشيعة، المؤتمر العالمى لألفيّة الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ق.
٤١. المقريزي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مصر، (بدون تاريخ).
٤٢. المولوي البلخي، محمد، مثنوي معنوي، انتشارات گنجينه، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠ ش.

٤٣ .ناصري، عبد الحميد، تشيّع در خراسان عهد تيموريان، آستان قدس رضوى، مؤسّسة البحوث الإسلاميّة، ١٣٧٨ ش.
٤٤ . النوري، حسين بن محمدتقي، اللؤلؤ والمرجان، كانون انتشارات عابدي، طهران، (بدون تاريخ).
٤٥ . هاليستر، جان نورمن، تشيّع در هند، ترجمة: آزر ميدخت، مشايخ فريدي، مركز نشر دانشگاهى، ١٣٧٣ ش.
٤٦ . واصفي، زين الدين محمود، بدايع الوقايع، انتشارات بنياد فرهنگى ايران، الطبعة الثانية، ١٣٤٩ ش.
٤٧ . اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدرآباد دكن، ١٣٣٨ هـ (بدون تاريخ).
٤٨ . اليعقوبي، ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ